قمم دولية .. وقيم حضارية

رؤية ودراسة تحليلية لنتائ
على المستوى الإقليمي والع

بقلم:
د. عيد بن مسعود الجهني

يشهد عالم اليوم حقائق سياسية واقتصادية وإستراتيجية مثيرة في منظومة العلاقات الدولية، فدبلوماسية القمة قد برزت لتترك بصماتها واضحة على العلاقات الثنائية والدولية على نحو يتوافر في أي مرحلة من المراحل التاريخية السابقة، وقد تبلورت تلك الحقائق بعد نهاية الحرب الباردة التي كانت من أهم العلامات التي تميز تاريخ العلاقات السياسية المعاصرة وأبرزها.

فالدول هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، وهناك قضايا أساسية تحكم العلاقات الدولية المعاصرة، وما يمر به النظام الدولي الجديد من تطورات وتعقيدات وتحولات جوهرية في علاقات الدول الثنائية، وفي علاقات الدول الكبرى ذات النفوذ المؤثر في العالم.. وكل هذا تحت وطأة تأثير حقائق وقضايا كثيرة منها ما هو سياسي أو عسكري أو أمني، ومنها ما هو اقتصادي وثقافي وغيرها من القضايا.

ج زيارات خادم الحرمين الشريفين
ربي والإسلامي والدولي

* خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في زياراته التاريخية المهمة المتعددة لبعض دول العالم أعطى نموذجاً مختلفاً، وفرض شخصية سياسية واضحة المعالم.

* أن نستخلص من هذه الزيارات أسس التعامل الدولي عند الملك عبدالله والإستراتيجيات التي وضعها وثبّت دعائمها.

ولعل ساسة الدول وقادتها في ظل علاقات هذا العصر المملوء بالتناقضات والمتغيرات والصراعات يركزون في قضايا منها الأمن العسكري كقضية تشغل بالهم وتفكيرهم على الدوام، ذلك أن القوة العسكرية - بعد الله - هي التي تحمي السيادة والأمن والمصالح والمكتسبات وأهداف الدولة.

وتأتي قضية أخرى مهمة في مجال العلاقات بين الدول تلك التي تعنى بقضايا السلام في مواجهة الصراعات بين الدول.. انطلاقاً من أن السلام يعني الأمن والاستقرار للعالم أجمع، ومن هنا أصبحت العلاقات الدولية التي تتبادلها الدول فيما بينها من أهم مظاهر الحياة الدولية في عالمنا المعاصر.

والمتتبع لتطور العلاقات والإستراتيجيات الدولية، يجد أن قادة الدول وكبار موجهي السياسة فيها ومخططيها، يحرصون على عقد اللقاءات والاجتماعات من خلال تبادل الزيارات الرسمية والودية على درب تطوير العلاقات الثنائية بين الدول، وتدعيم علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.. إلخ، بجانب دعم السلم والعدل الدوليين، والأمن والاستقرار في العالم.

ولا شك أن التصريحات التي يطلقها بعض رؤساء الدول والزعماء وكبار السياسيين بعد زياراتهم للدول الأخرى، كثيراً ما تتسم بعدم الثبات، فهي تتغير بتغير المواقف،

وتخضع للمصالح والأهواء، وقد يشوبها الغموض في محاولة لإرضاء طرف ما، أو عدم إثارة حفيظة طرف آخر.

ولكن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في زياراته التاريخية المهمة المتعددة لبعض دول العالم أعطى نموذجاً مختلفاً، وفرض شخصية سياسية واضحة المعالم أجبرت العالم على التعامل معه (بطريقته) هو لا (بطريقتهم) هم.

ولا شك أن المصالح هي التي أصبحت تحكم العلاقات الدولية، وليست المبادئ، فإننا نجد تناقضاً عجيباً في تصريحات بعض قادة الدول وبياناتهم بل ومواقفهم، فما يقال في زمن يقال ضده في زمن آخر، وما يُلقى في منبر ينسخه ما يُلقى في منبر آخر، وما يُصرح به في الداخل يُنكر في الخارج ويُقال نقيضه.

ولكن الملك عبدالله بن عبدالعزيز قدم نفسه للعالم سياسياً عالمياً لا تناقض في أقواله، ولا في مواقفه؛ ذلك لأنه يقدم المبادئ على المصالح، ويرجع ذلك إلى نشأته

*** الجهد الذي بذله الملك عبدالله على مستوى القمم الدبلوماسية الإقليمية والعربية والإسلامية والدولية كان مؤثراً وفاعلا في الأحداث .**

الدينية وطبيعته البدوية التي تتسم بالوضوح والصراحة، وفهمه لمجرى التاريخ وقدرته النادرة على إقناع كل من يجتمع به، ونحن إذ نقول ذلك لا نلقي الكلام على عواهنه، ولا نقوله جزافاً، ولكن نعتمد على المشهود من مواقفه والموثق المحفوظ من أقواله وخطاباته.

وقد وضحت شخصيته السياسية منذ أول زيارة له قام بها عندما كان ولياً للعهد إلى دول العالم المختلفة، فمن السمات الرئيسة التي عرفها العالم عنه من خلال تلك

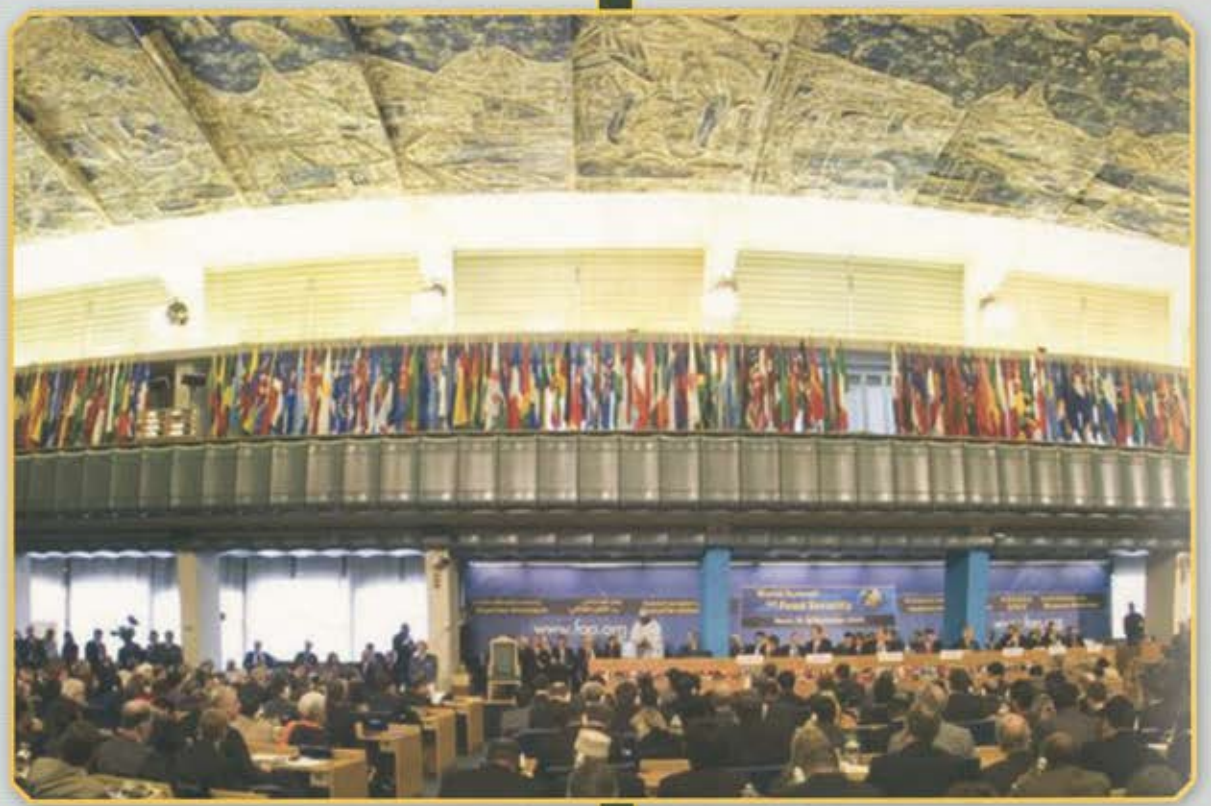

* ومن جانب آخر فإن توثيق العلاقات مع هذه الدول فيه دعم لعلاقاتها مع المملكة، ومن ثم تعاونها في دعم عملية السلام في العالم عامة .

الزيارات، الوضوح والصراحة، وتحديد الهدف الذي يريد تحقيقه بدقة، وأنه لا يساوم فيما يحقق مصلحة بلاده والأمتين العربية والإسلامية والعالم أجمع، وأن المبادئ والمثل عنده فوق المكاسب المادية مهما كان حجمها.

كما وضح للعالم أنه دائماً ما يفاوض من مواقع قوة، مهما كان حجم الدولة التي يتفاوض معها، أو وزنها، بمثلما اتضح أنه لا يعادي دولة لإرضاء دولة أخرى واستمالتها، فاستطاع الملك عبدالله بقدراته وصفاته الشخصية وأفكاره وقيادته الحكيمة وفكره النابع من إيمانه القوي بالله بعقد شراكات إستراتيجية بين بلاده والدول التي شملتها زياراته التاريخية.

هذه الصورة الجلية الواضحة لحكيم الأمة الذي ما التقى بملك أو رئيس دولة أو فرد إلا وخرج مبهوراً بشخصيته الشيء الذي أكسب زياراته وزناً وثقلاً، وجعل ملوك الدول ورؤسائها يعملون ألف حساب لهذه الزيارات، ويحرصون على تنفيذ كل اتفاق توصلوا إليه معه، كما جعلت وسائل الإعلام ومراكز البحوث تهتم اهتماماً كبيراً بزياراته وتأخذ كل تصريحاته مأخذ الجد.

إن كل زيارة من زيارات خادم الحرمين الشريفين عندما كان ولياً للعهد، ثم بعد أن أصبح ملكاً، بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ حيث خلف أخاه الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، تستحق أن نقف عندها ونفرد لها كتاباً؛ لما لها من أهمية بالغة، ولكننا آثرنا الاختصار؛ لأننا إنما نريد أن نستخلص من هذه الزيارات أسس التعامل الدولي

*** الملك عبدالله بن عبدالعزيز قدم نفسه للعالم سياسياً عالمياً لا تناقض في أقواله، ولا في مواقفه.**

عند الملك عبدالله والإستراتيجيات التي وضعها وثبّت دعائمها لإقامة علاقات سوية مع الدول الأخرى، تتسم بالاحترام المتبادل، وتحقيق المصالح المشتركة، وفي الوقت نفسه إبراز المملكة العربية السعودية ركيزة مهمة لا يمكن تجاوزها في العلاقات الدولية، لها صوتها المسموع، ورأيها المؤثر في المستوى الإقليمي والعربي والإسلامي والدولي، فهي حاضنة الحرمين الشريفين مهوى أفئدة أكثر من ١,٤ مليار مسلم.

إن الملك عبدالله بن عبد العزيز زعيم عالمي قوي، يملك القدرة على توجيه الأحداث وهو محل احترام الجميع، عرف بمواقفه الواضحة والصادقة التي تمثل أهمية لأي دولة تطمح لعقد شراكة أو تعاون أو تحالف يخدم المصالح المشتركة وسلام العالم.

هذه هي الشخصية الفريدة للملك عبدالله الذي عرف بفكره الثاقب وحصافته وذكائه الفطري وبمواقفه الواضحة دفاعاً عن القضايا العربية والإسلامية والسلام والعدل الدوليين.

وليس من باب المبالغة سياسياً واقتصادياً ولوجستياً القول إن الحصاد كان كبيراً، وليس من قبيل الدعاية الإعلامية القول إن الجهد الذي بذله الملك عبدالله على مستوى القمم الدبلوماسية الإقليمية والعربية والإسلامية والدولية كان كبيراً أيضا في زياراته التاريخية لبعض الدول العربية والإسلامية، والدول في الشرق والغرب والشمال والجنوب في خمس قارات.

كانت زيارات تاريخية تعتمد على معايير سياسية واقتصادية وإستراتيجية، ولو نظرنا إلى خريطة العالم الجغرافية لوجدنا أن الزيارات المهمة غطت خمس قارات، وشملت دولاً منها الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، إيطاليا، النمسا وروسيا حيث القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية المؤثرة، التي توجه دفة الأحداث على الكوكب الأرضي، وتملك نصيب الأسد من مفاتيحه وأوراقه، وفي الشرق الصين، الهند، اليابان، كوريا، باكستان، ماليزيا، القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية الواعدة في عالم الغد وغيرها.

إن الملك عبدالله بن عبدالعزيز صاحب ثقل مؤثر محلياً واقليمياً ودولياً، يملك رؤية واضحة، وقراءة متميزة لحركة التاريخ والتوازنات في السياسة والعلاقات الدولية، ولذا فإن من يدقق في خيوط بعض لقاءات القمة

المهمة التي عقدها مستغلاً خبراته وتجاربه الطويلة وقدرته البالغة على الإقناع ومعالجة القضايا المعقدة، والتغلب على الصعاب وتهدئة المواقف المتفجرة بأسلوب هادىء رزين، يجد أنها تركز في التعرف عن قرب إلى كل المستجدات، وحركة موازيين القوى وعرض رؤى بلاده بشأن المشكلات المعاصرة التي تواجه المجتمع الدولي وسبل إيجاد الحلول لتلك القضايا لتحقيق العدل والسلام، فنجح في توثيق علاقات المملكة بحكم مكانتها الروحية والحضارية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية كأكبر قوة نفطية بالقوى الدولية الفاعلة في ظل المتغيرات الدولية المتسارعة وصعود قوى مؤثرة جديدة، وبروز العولمة بإيجابياتها وسلبياتها ما يستدعي نفخ الروح في اقتصادات المملكة والاستثمارات في الداخل وعدم حصرها للتصدير للخارج.

إذن الزيارات كانت مهمة ذات أبعاد مؤثرة حاضراً ومستقبلاً، تبني شراكات إستراتيجية يعتمد عليها في أكثر من صعيد، لكونها شملت شركاء اقتصاديين واستثماريين وسياسيين وإستراتيجيين، أطلعهم الملك عبدالله على رؤية المملكة لمستقبل العالم الاقتصادي وفي كل الميادين، ومنها ميدان الطاقة، ونظرته الفاحصة للأسلوب العلمي الذي تتبعه المملكة للقفز باقتصادها في الألفية الثالثة، ليس فقط مصدراً للنفط وإنما مشارك من خلال تهيئة الاقتصاد السعودي إلى التنويع في مصادره بعيداً عن (عباءة) النفط وتشجيع استثمارات الشركاء لضخ استثماراتهم في الاقتصاد السعودي تبادلاً مع الاستثمارات السعودية التي تجد طريقها إلى تلك الدول.

هذه الأهداف وغيرها كثير كانت على جداول أعمال دقيقة لزيارات خادم الحرمين الشريفين، الذي استطاع برؤيته الثاقبة، وحكمته وجهوده المتواصلة، وعلاقاته الواسعة، وشخصيته المؤثرة، أن يجعل الصورة خارج الحدود عن بلاده تتفق مع دورها الإسلامي الرائد راعية للحرمين الشريفين، ومكانتها الحضارية والسياسية والاقتصادية.

ولا شك أن التعاون مع دول كبرى مثل: أمريكا، وروسيا، والصين، وفرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، واليابان، وكوريا، والهند، وباكستان، والبرازيل، وغيرها من الدول من نتائجه الإيجابية العمل على دعم الحوار وحل النزاعات الإقليمية والدولية بالطرائق السلمية؛ تأكيداً للشرعية الدولية ومبادئ الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن والقانون والعرف الدوليين.

ومن جانب آخر فإن توثيق العلاقات مع هذه الدول فيه دعم لعلاقاتها مع المملكة، ومن ثم تعاونها في دعم عملية السلام في العالم عامة، والشرق الأوسط خاصة في صراع العرب مع إسرائيل، ودعم مبادرة السلام العربية لحل هذا الصراع، ورفض سياسة ازدواج المعايير والكيل بمكيالين، وكل ذلك يدعم الأمن القومي السعودي والعربي ويعني (القوة) التي ستبقي الشغل الشاغل للدول بديناميكيتها وحركتها وشريانا لعلاقاتها الإقليمية والدولية.

هذا هو نهج السياسة الخارجية السعودية منذ تأسيسها على يد المؤسس والموحد والمصلح الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - وعرف العالم الاعتدال والحكمة والتروي التي تمتاز بها السياسة السعودية التي يقودها الملك عبدالله بن عبدالعزيز، فالخطاب السياسي السعودي تميز بالموضوعية والإتزان عاكساً السماحة والاعتدال النابع من شريعة الإسلام التي تطبقها المملكة التي قامت على صفاء العقيدة ونقائها، فلا غرو فهي مهبط الوحي وعلى أرضها أقدس المقدسات مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث الحرم المكي والمسجد النبوي.